الصحافة الاستقصائية

٥/٢ نماذج لتحقيقات عراقية منشورة م ٢٠١٥

١) تحقيق من العراق

المشردون في العراق: قانون هزيل وعجز حكومي يدفع بالمشردين الى الانخراط في العنف والانحراف والجريمة

(فاز هذا التحقيق الذي انجزته الصحفية العراقية ميادة داود، بالجائزة الاولى في مسابقة الربيع العربي الذي اقيم على هامش مؤتمر شبكة اريج للصحافة الاستقصائية العربية، كأفضل تحقيق انجز في العالم العربي عام ٢٠١١. وجائزة افضل تحقيق استقصائي في الشرق الاوسط وشمال افريقيا لعام ٢٠١٢ في مسابقة منظمة اليونسيف.

تحقيق: ميادة داود

يفترش الشاب أحمد رياض منذ نحو العام، أرض حديقة الأمة الواقعة في منطقة الباب الشرقي وسط العاصمة بغداد، بعد خروجه "قسرا" من دار المشردين لتجاوزه السن القانونية. رياض الذي يعتاش الآن على ما يكسبه من بيع قناني المياه النقية قرب ساحة التحرير القريبة من الحديقة، يعتقد أنه أفضل حالا من زميله نبيل عباس الذي خرج من دار المشردين قبله بعام واحد، ويقضي الان حكما بالسجن لثلاثة أعوام بتهمة الانتماء لـ"عصابة سرقة سيارات".

تحول نبيل عباس من مجرد مشرد الى "لص محترف"، بعد أقل من عامين قضاهما في التشرد بشوارع العاصمة. ولا احد يعرف بالضبط الى ماذا سيتحول حين تنتهي محكوميته ويخرج من السجن.

وربما سيكون مصير أركان محمد الذي أعتقل بعد أشهر قلائل من خروجه القسري من دار المشردين، مشابها لمصير عباس، فهو لم يتمكن حتى الآن من إقناع المحققين بأنه لم يكن ينوي تنفيذ عملية إرهابية حين عثرت عليه الشرطة مختبئا في "براد" مهجور في ساحة للأنقاض شرقي العاصمة، بل كان ينام في المأوى الوحيد الذي حصل عليه بعد خروجه من دار المشردين.

أحمد رياض ونبيل عباس وأركان محمد وآخرون غيرهم، كانوا كلهم ضحايا "تشرد قسري"

REDMI NOTE 10 23/03/2024 16:51

فرضه إصرار الحكومة العراقية على تطبيق قانون قديم للمشردين قبل نحو ٢٨ عاما، يقضي بعدم السماح لمن تجاوز سن الـ١٨ عاما بالبقاء في دار المشردين، حتى لو كان مأواه البديل هو شوارع المدن العراقية الملتهبة بالعنف، التي تصفها بعض التقارير بأنها من اخطر المدن في العالم.

قانون ((قديم)) لمجتمع متحول

يعرف قانون الاحداث رقم ٧٦ لسنة ١٩٨٣، "المشرد" بأنه كل حدث لم يتجاوز الـ١٥ من العمر ويعثر عليه من دون مرافقة ولي أمره وهو يتسول في الاماكن العامة، او يمارس متجولا مهنة مثل صبغ الأحذية او بيع السكائر، او اية مهنة اخرى تعرضه للجنوح. كما اعتبر القانون الحدث "مشردا" اذا لم يكن له محل إقامة معين او اتخذ الأماكن العامة مأوى له ولم تكن له وسيلة مشروعة للعيش، او ترك منزل وليه من دون عذر مشروع.

خبراء قانون، علماء اجتماع وباحثون، جهات رسمية معنية بقضايا المشردين، وجهوا انتقادات لاذعة لقانون المشردين الذي لم يخضع للتعديل منذ ٢٨ عاما، برغم كل ما مر به العراق من حروب ونزاعات وتحولات اقتصادية واجتماعية خلال العقود الثلاثة الاخيرة.

الباحث الاجتماعي عبد الرزاق سليمان يؤشر حجم العجز الحكومي وما يسميه "غياب الإدراك الحقيقي" لأهمية تعديل قانون دار المشردين "الهزيل" الذي ورثناه من النظام السابق، في المقابل، يعرض سليمان الصورة الواسعة والمأساوية التي انتهى إليها ملف المشردين في العراق أواخر العام ٢٠١١.

سليمان يتحدث عن ثلاثة حروب مدمرة خاضها العراق خلال العقود الثلاثة الماضية، تركت أولاها (حرب الخليج الاولى ١٩٨٠ - ١٩٨٨) مئات الآلاف من الأيتام والمشردين الذين قتل اباؤهم في الحرب، ولم يحظوا برعاية كافية من أقاربهم او مؤسسات الدولة المنشغلة آنذاك بالحرب.

REDMI NOTE 10 23/03/2024 16:51

العنف.. أول الأبواب المشرعة

ما زال الفتى صفاء الذي هربه جنود عراقيون بسيارتهم العسكرية الى العاصمة بغداد بعد مقتل كل أفراد عائلته بقصف امريكي في مدينة الفلوجة، يشعر بالقلق حيال فكرة عودته الى مدينته مجددا والتعرض الى ذات الظروف التي دفعت بوالده واثنين من أعمامه للانضمام الى تنظيم القاعدة.

سيخرج صفاء بعد بضعة شهور من دار المشردين بعد أن أمضى ٦ سنوات بين جدرانها، لكنه لا يعرف حتى الآن الى أين سيمضي بعدها.

البقاء في شوارع بغداد المحفوفة بالمخاطر ليس اقل خطرا من العودة الى الفلوجة التي تقاتل فيها ابوه واعمامه مع الكثير من الجماعات المسلحة المتصارعة على النفوذ في المدينة قبل مقتلهم في الغارة الجوية، لكن قانون المشردين سيفرض على صفاء ان يبحث عن طريقه بنفسه.

يعتقد مسؤول بارز في قيادة عمليات بغداد التي تتولى الملف الأمني في العاصمة، أن المشردين ما زالوا يشكلون خطرا بالغا على مجمل الحياة في العراق، خصوصا في ما يتعلق بقضايا العنف المسلح. فهناك عدد كبير من المشردين ثبت ضلوعهم بزرع العبوات الناسفة او وضع عبوات لاصقة تحت سيارات مستهدفة او مراقبة عناصر نقاط التفتيش لمعرفة عدد الجنود الموجودين في موقع عسكري معين، بعضهم كان يسترق السمع بالقرب من جنود الدوريات بحجة بيع الماء او الحلويات، ثم ينقلون المعلومات التي يحصلون عليها للجماعات المسلحة مقابل مبالغ صغيرة.

المسؤول البارز قال إن قيادة العمليات أصدرت أوامر مشددة بإبعاد المشردين والباعة الصغار من الأماكن القريبة من نقاط التفتيش، لكنه يعتقد أن هذا الإجراء لن يحل المشكلة ما دام هؤلاء "أدوات" يمكن استدراجهم او استغلالهم بكل سهولة من قبل الجماعات المسلحة.

يرفض المسؤول البارز ان يعطي أية أرقام، حتى لو كانت تقريبية، لعدد المشردين

REDMI NOTE 10 23/03/2024 16:51

التحقوا بالعمل المسلح او شاركوا فيه. لكنه يعترف بأن أكثر من ٢٤ مشردا قتلوا في عمليات تفجير نفذوها بإرادتهم أو نفذت عبر أجسادهم من دون علمهم وسط جموع المدنيين.

يروي المسؤول البارز، كيف أن عناصر تنظيم القاعدة كانوا يستغلون حاجة المشردين الصغار للمال من اجل استخدامهم في عمليات تفجير مبتكرة، واحدة من هذه القصص كانت قصة الحمال الصغير "سعيد" الذي طلب منه رجل مجهول نقل بضعة أكياس فاكهة الى سيارته المركونة في طرف السوق، ظل سعيد يومها يبحث عن الرجل المجهول الذي غاب وسط الحشود، وسرعان ما كانت أشلاء سعيد تتطاير مع أجساد عدد من المتبضعين جراء انفجار مادة الـ ٤ التي وضعها الرجل المجهول في أكياس الفاكهة وفجرها عن بعد بالريموت كونترول.

الطريقة نفسها أتبعها التنظيم في مناطق أخرى من العراق، ففي اتصالات هاتفية متكررة مع قائد في شرطة محافظة ديالى، حاولت كاتبة التحقيق مقابلة ١٤ طفلا مشردا تورطوا في تنفيذ عمليات مسلحة مقابل مبالغ صغيرة. قبل وصول كاتبة التحقيق بساعات للقاء الفتية الـ١٤، نقل هؤلاء الى مراكز حجز جديدة تمهيدا لعرضهم أمام المحكمة.

أحد هؤلاء المشردين الصغار، كما ثبت في محاضر الشرطة، كان قد وضع عبوة لاصقة في سيارة موظف كبير مقابل ٢٠ الف دينار فقط (١٧ دولارا أمريكيا) ما تسبب بقطع ساق الموظف وعجز شبه تام في باقي انحاء جسده.

ضابط التحقيق الذي تولى استجواب المشردين الصغار، ظل محتفظا في ذاكرته بمشهد الفتى الذي انهار وهو يدرك، للمرة الأولى، أن "الأمانة" التي أوصلها مقابل ١٠ الاف دينار (٧ دولارات)، ستكلفه البقاء في السجن ما لا يقل عن ٧ سنوات.

الأمانة التي طلب منه "رجل غريب" إيصالها لصديقه صاحب محل بيع الأقمشة في طرف السوق، كانت عبارة عن عبوة ناسفة موضوعة داخل مغلف من الكارتون سرعان ما انفجرت وتسببت بمقتل صاحب المحل وجرح آخرين كانوا بالقرب منه.

REDMI NOTE 10 23/03/2024 16:52